

العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة البحوث والدراسات

تَعَجُّبُ الإِمَامِ الصَادِقِ عليه السلام

مِنْ ظَاهِرَةِ التَكْفِيرِ ! !

بقلم
الدكتور مصطفى صالح مهدي الجعيفري

١٤٣٦هـ ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم ، افواه الرجال حوانيتها ، واسنانها صنائعها ، فاذا فتح الرجل باب حانوته ، تبين العطار من البيطار ، والتمار من الزمار ، والله المستعان على سوء الازمان ، وقلة الاعوان .

اما بعد فان ظاهرة التكفير من اخطر الظواهر التي عرفتها البشـرية ، وشهدتها الارضُ الأُمّ من امد بعيد ، لذلك حذر الاسلام منه حذرا كبيرا ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " كفوا عن أهل لا إله إلا الله لا تكفروهم بذنب فمن أكفر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب "(١).

وقبل الخوض في نص الامام المعصوم عليه السلام ارتأيت التعريف بالامام الصادق عليه السلام وبالتكفير من جهة المفهوم .

فاما الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، فهو لاشهر من نار على علم ، ولا يحتاج الى تعريف ، فيكفي ان جده رسول الله صلى الله عليه وآله ، والامام علي بن ابي طالب عليه السلام ، والامام الحسين عليه السلام ، والامام الحسن عليه السلام ، وابوه محمد

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ٣/ ٢٥٣ ، ح ٨٢٦٧.

الباقر بن الامام زين العابدين عليه السلام . وهم من قد عرفت من آل رسول الله "صلوات الله عليهم اجمعين" الذين نزلت فيهم آية التطهير .

واما مفهوم الكفر في اللغة والاصطلاح ، فهو كما يلي :

اولاً- الكفر لغةً:

الكفر : هو الجحود ، أي إنكار الحق مع العلم به ، وهو قوله تعالى : ﴿ ... **إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ** ﴾(١) ، أي جاحدون منكرون . ويستعمل الكفر ضد الإيمان ، والكافر : هو من أنكر وجود الله "عزوجل" ووحدانيته عن عمد ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾(٢) ، أي أنكروا الحقيقة مع إيقانهم بها . ويجمع الكافر كُفَّار وكفرة .

وقيل ان الكفر : يعني الستر ، سمي الكافر كافراً ؛ لأن الكفر غطى قلبه كله، اي أن الكافر لما دعاه الله إلى توحيده فقد دعاه إلى نعمة ، فلما أبى

---

(١) القصص ، ٤٨ .

(٢) النمل ، ١٤ .

لَمَا دعاه ... كان كافراً لنعمة الله ، أي مغطيا لها بإبائه ، حاجبا لها عنه ، وعلى أثرِ ذلك : سميت الكفارات [بهذا الاسم] ؛ لأنها تُكَفِّر الذنوب ، أي تسترها(١).

ثانياً- الكفر اصطلاحاً :

قال الجرجاني: «الكفران ستر نعمة المنعم بالجحود، أو بعمل هو كالجحود في مخالفة المنعم»(٢).

وقال التهانوي: «الكفر بالظم وسكون الفاء، شرعاً خلاف الإيمان عند كل طائفة»(٣).

وقال القاضي عبد الجبار المعتزلي: «الكافر اسم لمن يستحق العقاب العظيم»(٤).

---

(١) ينظر : الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ٢ / ٨٠٧ – ٨٠٩ ، ينظر : الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ٧ / ٤٥٠ – ٤٥٦ .

(٢) التعريفات، ١٨٥ .

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون ٤، ١٦ .

(٤) شرح الأصول الخمسة، ٤٨٠ – ٤٨١ .

وقال الايجي: «الكفر هو خلاف الإيمان فهو عندنا عدم تصديق الرسول في بعض ما علم مجيئه بالضرورة»(١).

وقال الفاضل المقداد السيوري: «الكفر اصطلاحاً هو انكار ما علم ضرورة مجيء الرسول صلى الله عليه وآله به»(٢).

وعرفه الطباطبائي اليزدي: «من كان منكراً للالوهية أو التوحيد أو الرسالة أو ضرورياً من ضروريات الدين مع الألتفات إلى كونه ضرورياً بحيث يرجع انكاره إلى انكار الرسالة»(٣).

الكفر: هو إنكار أصل أو ضرورة من أصول أو ضرورات الدين . كأنّ يشك في وجود الله أو وحدانيته أو نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله ، أو المعاد يوم القيامة ، أو وجوب الصيام أو حرمة الزنا ... وغيرها (٤) ، وله أنواع *(٥).

---

(١) المواقف، ٣٨٨.

(٢) ارشاد الطالبين، ٤٤٣ .

(٣) العروة الوثقى ١ ، ٥٤ .

(٤) ينظر : فتح الله ، أحمد ، معجم ألفاظ الفقه الجعفري ، ٣٤٩ .

(٥) ❋ أنواع الكفر : فقد ورد لفظ الكفر والكفار في القرآن في آيات كثيرة وبمعاني متعددة :-

❋ ١) كفر الانكار: وهو أن يكفر بقلبه ولسانه فلا يعتقد الحق ولا يقر به .

❋ ٢) كفر العناد : وهو أن يؤمن بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله بقلبه وينكره بلسانه .

❋ ٣) كفر النفاق : وهو أن لايعتقد بقلبه بما جاء به النبي ﷺ ، ولكنه يقر به بلسانه.

❋ ٤) كفر ملـــة : وهو أن يأتي بما يخرجه عن الإسلام من قول أو فعل أو اعتقاد .

❋ ٥) كفر عمل : وهو ارتكاب المؤمن المعاصي التي لا تخرجه عن الإيمان ومن ذلك قوله ﷺ : ((سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر .)) (الصدوق ، محمد بن علي ، ثواب الأعمال ، ٢٤٠) . ينظر : قلعجي ، محمد رواس ، معجم لغة الفقهاء ، ٣٨٣ .

تعجب الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام من التكفير

فقلورد عن عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيه عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَجَّاجِ عَنْ هَاشِمٍ صَاحِبِ الْبَرِيدِ قَالَ: كُنْتُ أَنَا ومُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ وأَبُو الْخَطَّابِ مُجْتَمِعِينَ، فَقَالَ لَنَا أَبُو الْخَطَّابِ: مَا تَقُولُونَ فِيمَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَذَا الأَمْرَ؟

فَقُلْتُ: مَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَذَا الأَمْرَ فَهُوَ كَافِرٌ.

فَقَالَ أَبُو الْخَطَّابِ: لَيْسَ بِكَافِرٍ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْه الْحُجَّةُ، فَإِذَا

قَامَتْ عَلَيْه الْحُجَّةُ فَلَمْ يَعْرِفْ فَهُوَ كَافِرٌ.

-**فَقَالَ** لَه مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمٍ: سُبْحَانَ اللهِّ! مَا لَه إِذَا لَمْ يَعْرِفْ؟ ولَمْ يَجْحَدْ؟ يَكْفُرُ! لَيْسَ بِكَافِرٍ إِذَا لَمْ يَجْحَدْ!

-**قَالَ**: فَلَمَّا حَجَجْتُ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِّ عليه السلام فَأَخْبَرْتُه بِذَلِكَ.

-**فَقَالَ** عليه السلام: إِنَّكَ قَدْ حَضَرْتَ وغَابَا، ولَكِنْ مَوْعِدُكُمُ اللَّيْلَةَ- الْجَمْرَةُ الْوُسْطَى بِمِنًى. فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ اجْتَمَعْنَا عِنْدَه وأَبُو الْخَطَّابِ ومُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، فَتَنَاوَلَ وِسَادَةً فَوَضَعَهَا فِي صَدْرِه ثُمَّ قَالَ لَنَا عليه السلام:

مَا تَقُولُونَ فِي خَدَمِكُمْ ونِسَائِكُمْ وأَهْلِيكُمْ؟ أَلَيْسَ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُّ؟

-**قُلْتُ**: بَلَى.

- **قَالَ** : أَلَيْسَ يَشْهَدُونَ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وآله ؟

- **قُلْتُ** : بَلَىٰ.

- **قَالَ** عليه السلام : أَلَيْسَ يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَحُجُّونَ؟

- **قُلْتُ**: بَلَىٰ.

- **قَالَ** عليه السلام : فَيَعْرِفُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْه؟

- **قُلْتُ**: لاَ.

- **قَالَ** عليه السلام : فَمَا هُمْ عِنْدَكُمْ؟

- **قُلْتُ** مَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَذَا الأَمْرَ فَهُوَ كَافِرٌ.

- **قَالَ** عليه السلام : سُبْحَانَ اللهَّ !! أَمَا رَأَيْتَ أَهْلَ الطَّرِيقِ، وأَهْلَ المِيَاه؟

- **قُلْتُ** : بَلَىٰ.

-**قَالَ** عليه السلام : أَلَيسَ يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ ويَحُجُّونَ؟

[ثم قَالَ عليه السلام]: أَلَيسَ يَشْـهَدُونَ أَنْ لَا إِلَـه إِلَّا اللهَّ وأَنَّ مُحَمَّـداً رَسُولُ اللهَّ؟

- **قُلْتُ** : بَلَى.

-**قَالَ** عليه السلام : فَيَعرِفُونَ مَا أَنْتُم عَلَيه؟

- **قُلْتُ**: لَا.

-**قَالَ** عليه السلام : فَما هُم عِندَكُم؟

- **قُلْتُ**مَنْ لَمْ يَعرِفْ هَذَا الأَمْرَ فَهُوَ كَافِرٌ.

-**قَالَ** عليه السلام : سُبحَانَ اللهَّ !

[ثم قَالَ عليه السلام]:أَمَـا رَأَيـتَ الْكَعْبَـةَ والطَّـوَافَ وأَهْـلَ الْـيَمَنِ وتَعَلُّقَهُمْ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَة؟ قُلْتُ: بَلَى.

- قَـالَ عليه السلام : أَلَـيْسَ يَشْـهَدُونَ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّـداً رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله ويُصَلُّونَ ويَصُومُونَ ويَحُجُّونَ؟

- قُلْتُ : بَلَىٰ.

- قَالَ عليه السلام : فَيَعْرِفُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيه؟

- قُلْتُ: لَا.

- قَالَ عليه السلام فَمَا تَقُولُونَ فِيهِمْ؟

- قُلْتُ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ فَهُوَ كَافِرٌ.

- قَالَ عليه السلام : سُبْحَانَ اللهِ !!! هَذَا قَوْلُ الْخَوَارِجِ.

- ثُمَّ قَالَ عليه السلام : إِنْ شِئْتُمْ أَخْبَرْتُكُمْ.

- فَقُلْتُ : أَنَا لَا *(١).

(١) إنما لم يرض الراوي بأخباره عليه السلام بالحق لأنه فهم منه انه يخبره بخلاف رأيه

-**فَقَالَ** عليه السلام: لَمَا إِنَّه شَرٌّ عَلَيْكُمْ أَنْ تَقُولُوا بِشَيْءٍ مَا لَمْ تَسْمَعُوه مِنَّا *[1].

-**قَالَ**: فَظَنَنْتُ أَنَّه يُدِيرُنَا عَلَى قَوْلِ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ[2].

فيفضح عند خصميه ولعله في نفسه رجع إلى الحق ودان به.

(١) الذي عناه الإمام عليه السلام بقوله: هذا قول الخوارج، أن إنكار الولاية، أو الجهل بها لا يوجب الكفر، ما دام المسلمون يقرون لله بالوحدانية، ولمحمد بالنبوة، ويؤدون الفرائض، ولا يشترط في الإسلام أكثر من الإقرار بالشهادتين، وعدم الإنكار لشيء من الضروريات، وتكفير المسلمين لمجرد أنهم لا يقرون بإمامة الأئمة يشبه رأي الخوارج حيث كفروا جميع المسلمين لأنهم لم يوافقوهم في آرائهم ومعتقداتهم. ينظر: الحسني، هاشم معروف، دراسات في الحديث والمحدثين، ٣٤٢.

(٢) الكافي، الكليني، ٢ / ٤٠١ - ٤٠٢.